المحاضرة: 06

الفتنة الكبرى ومقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

هو عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف اشتهر بالفقه، والحياء والكرم، وكان لين العريكة كثير الإحسان والحلم. تزوج بنتي الرسول - صلى الله عليه وسلم - (رقية وأم كلثوم)[1] فلقب بذي النورين، وله أعمال وأفضال على المسلمين فقد اهتم به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان سفيره لدى قريش في السنة السادسة للهجرة (في عمرة الحديبية)، ولذلك له اليد الطولى في جيش العسرة الذي أعده الرسول لغزوة تبوك، فقد أمد المسلمين بتسعمائة وخمسين فرسا وألف دينار، كما اشترى بئر رومة من يهودي بعشرين ألف درهم تصدق بها على المسلمين.

1- مبايعته بالخلافة: لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل عليه نفر من الصحابة يسألونه أن يستخلف أحدا فأبى[2] وأعادوا عليه الكرة خوفا من أن يقضي نحبه دون أن يستخلف، فقالوا له لو عهدت عهدا. فقال: عليكم برهط الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال فيهم انهم من أهل الجنة: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف

---

(1) أخرج الطبراني عن حصمة بن مالك قال: لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: زوجوا عثمان، لو كان لي ثالثة لزوجته، وما زوجته إلا بالوحي من الله. ← لمزيد من الأحاديث الواردة في فضله ينظر: السيوطي (جلال الدين ت 911هـ) تاريخ الخلفاء، تح. أحمد ابراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العبدروسي، دار الكتاب العربي، 2005م. ص. ص. 118-119.

(2) لما أشاروا عليه بابنه عبد الله بن عمر أجابهم: قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا... يحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد. ← نقلا عن: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي... ص. 254،

والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الله بن عمر. على ألا يكون له من الأمر شيء. وأوصى بأن تكون الخلافة للرجل الذي يقع عليه الاختيار من الفريق الذي في صفه عبد الله بن عمر في حالة تساوي الأصوات.

وتوفي عمر، وبدأت المشاورات، وأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من المنافسة، وأشار عليهم: «أيكم يخرج نفسه منها ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟» وبدأ في المشاورات بين الصحابة، والأشراف، وأمراء الأجناد فكان البعض يشير على "عثمان"، والآخرون "عليّ" رضي الله عنهما. فلما سأل عليّ فأشار على عثمان، ولما سأل عثمان اختار عليّ. فانحصر استحقاق الخلافة بين علي، وعثمان رضي الله عنهما. وبعد انقضاء المدة التي أمر بها الخليفة عمر بن الخطاب (هي 3 أيام).

دعا عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب، وسأله: «هل عليك عهد لله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده؟» قال: «أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي». ثم دعا عثمان وأعاد عليه ما قال لعلي: فقال: «نعم! فبايعه». (١)

فتمت البيعة لعثمان بن عفان رضي الله عنه بالخلافة.

- الفتنة في عهد عثمان - رضي الله عنه - ومقتله

حدث في آخر عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه - ما يسميه الجمهور المسلمون "بالفتنة" ويقصدون ما امتحن به الصحابة والمسلمون الأوائل ومن بعدهم من قتل الخليفة عثمان

---

(١) فيه أقاويل عدة، واختلافات حتى تطاول على البعض على الصحابة في كيفية اختيار الخليفة عثمان بن عفان. فعلى الطالب عند القراءة التمحيص، والتدقيق في صحة الأحاديث المستشهد بها.

(٢) يتعذر التفصيل في خلافته لطول أحداثها للاطلاع ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ابن الأثير الكامل في التاريخ، السيوطي، تاريخ الخلفاء، من ص 119 إلى ص 141 حسن إبراهيم حسن، التاريخ السياسي ج 1، التاريخ

و قد سميت بالفتنة الكبرى " لأنها أول اقتتال يحدث في تاريخ الإسلام و المسلمين و ذلك حين تسلط عليه أقوام من مصر والعراق في المدينة المنورة و أرادوا منه أن يتخلع من الخلافة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم، مع تنصله من ذلك و اعتذاره من كل ما أوردوه عليه ... ثم حصارهم لداره، ثم قتله ..."

أسباب الفتنة : تعددت الأسباب بين ما أوخذ على عثمان في طريقة حكمه، وبين أسباب فرضتها ظروف الدولة و طبيعة التحول الاقتصادي والاجتماعي في ذلك العصر. ضف إلى ذلك دور السبئية (نسبة لعبد الله بن سبأ.) و الكثير ممن يعتبرونه السبب المباشر في هذه الفتنة.

و نذكر منها مع الرد عليها.

1- ما نسب لعثمان من إيثاره لأقربائه بإسناد الولايات إليهم وعزل كبار الصحابة. و ردنا عليها ما قال علي رضي الله عنه: "لم يول إلا رجلاً سويًا عدلاً، وقد ولى رسول الله عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة وولى أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته فقال: إنه لخليق بالإمارة".

2- استعداته لأشياء لم يسبق لأحد فعلها كجمعه للقرآن في مصحف واحد، وحرقه لباقي المصاحف، وإتمامه الصلاة بمنى لأصل صلاة مقيم ولم يقصر[3]. فجمعه للقرآن يحسب له لا عليه

---

(2) خيب بن خيرة، التاريخ الإسلامي (عصر الخلافة الراشدة)، دار الهدى الجزائر. 2008م ص 186.

(1) نفسه ص. 188. وعن هؤلاء العمال الذين تم تعيينهم من طرف عثمان وعن سيرهم، يُرجع للمرجع نفسه، ص. 188 وما بعدها.

(3) أصل صلاة مقيم لأنه يملك بيتا في منى لذلك لم يقصر فالتقصير للمسافر.

فذلك حسنة من حسناته[1]. واضافته للأذان الثاني في الجمعة لأن ذلك لما كثر الناس بالمدينة. (حسب رواية البخاري).

أما من الظروف أو التحولات، فالمجتمع تحول زمن عثمان بن عفان إلى حياة الترف والبذخ، عكس ما كان زمن عمر بن الخطاب فقد أغدق عليهم عثمان بن عفان بالعطايا والغنائم لكثرة الفتوحات، واتساع رقعة الدولة الإسلامية فصار يضم: العرب، والفرس، والروم، والمصريين، وحتى الأتراك.

أما عبد الله بن سبأ يقال أنه يهودي من صنعاء أظهر اسلامه في زمن عثمان بن عفان، وكان يكنى بابن السوداء. نشط في الشام، والعراق، ومصر خاصة، وبدأ ينشر في الباطل لقت تجاوبا من حديثي العهد بالاسلام. كقوله "بالرجعة" إذ يقول: إن العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع. مستندا لقوله تعالى ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ فمحمد أحق بالرجوع. وهو تأويل باطل. كما قال بأن لكل نبي وصي، فعلي وصي رسول الله، ومحمد خاتم الأنبياء، فعلي آخر الأوصياء.

وذلك بإحداث فتنة أن عثمان أخذ الخلافة من علي بغير حق. فدس الأكاذيب والفتن في الأمصار للثورة ضد الخليفة، ومطالبته بخلع نفسه.

وقد حاول عثمان بن عفان التصدي لهذه الفتنة بتقصي الحقائق والاستشارة في عمله، وكذلك دعوة المظلومين للتحقيق، والسماع لظلامهم

---

(1) يمكن الرجوع لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي وكيف رد على هذه الشبهة وغيرها.

حتى أن معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام لما اجتمع به أشار عليه أن يصحبه معه إلى الشام حتى تستقر الأوضاع فكان رده: "أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم - بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي".

وبالفعل تم حصار بين عثمان بن عفان أربعين يوماً، وذلك بعد قدوم السبئية إلى المدينة سنة 35 هـ "فناظرهم عثمان فيما ينسبوه إليه، ورد عليهم وافتراءاتهم فرجعوا إلى الأمصار، وذلك في رجب ثم عادوا في شهر شوال (قرابة ستمائة) من أمصار عدة، وحاولوا اللجوء للصحابة لكنهم ردوهم على أعقابهم، فتظاهروا بالرجوع حتى يتفرق الصحابة ورجعوا، وحاصروا بيت عثمان. مدعين أنهم وجدوا رسولاً يحمل كتاباً من عثمان يأمر عامله بمصر بقتلهم.

واشتد حصارهم لعثمان، ومنعوا عنه الماء والطعام، ولما سمعوا بقدوم النجدات على عثمان أسرعوا في قتله بتسلل من أسوار البيت بعد أن منعوا أبناء الصحابة من الدخول إلى البيت (الحسن، وابن الزبير، ومحمد بن طلحة ..) وقد ناداهم عثمان "أنتم في حل من نصرتي"

وبقي عثمان في بيته 3 أيام لم يدفن، حتى دفن ليلاً في غفلة من خصومه في مكان يعرف بحش كوكب" ولم يشترك في جنازته إلا نفر قليل من الصحابة.[1]

---

[1] للتفاصيل أكثر يرجع: الطبري تاريخ الأمم والملوك، ابن كثير: البداية والنهاية.